

فن العقاد في سير عظماء الاسلام

(عبقرية محمد ﷺ و ابي بكر وعمر و علي)

☆ الدكتور غلام احمد

Abstract

There are so many brilliant people in the world who left very impressive effect on the lives of others. Some are well known in some sphere of life and few are known all over the world. They are praised by masses and honored and exulted to the extreme. The most honored and exulted is the Prophet Muhammad (PBUH). His companions were the most honored extraordinary obedience and love for the Holy Prophet (PBUH). Four of them had a very special place among his companions. They were chosen as Caliphs of the Holy Prophet and they all are the most exulted and venerated personalities after the Holy Prophet (PBUH).

So many works of excellence have been done on the life and fine practice of the Holy Prophet and his companion, specially regarding the works of the Caliphs of the Holy Prophet. But the work done by Abbas Mahmood Alaqqad is very much special of its nature. He named it Abqariatu Muhammad, Abqariatu Siddique, Abqariatu Umar, and so on. These are very special studies of Seerat and ought to be made stress on it.

These are actually works of great scholarship and need to be studied thoroughly and very minutely so I chose it for detailed and very deep study.

تقول المصادر التاريخية كان عباس محمود العقاد شاعرا وناقدا ذكيا ، مفكرا معاصرا وعبقريا موهوبا ، وكاتب عصاميا ، ومجددا في الشعر والنثر واماما في الأدب والنقد .والذي ولد في

سنة ٢٨ يونيو ١٨٨٩م (١) وكان والد العقاد محمود إبراهيم مصطفى العقاد مديرا لادارة المحفوظات في مدينة أسوان. وقد اشتهر بالتقوى وكرم وعرف بالتنظيم في عمله وقد تسلم محفوظات الإدارة. فعكف على تنظيمها وترتيبها حتى أصبح من اليسير الاستدلال علما تفرق من أوراقها المقدسة. (٢) وانتقل والده من بلدته دمياط إلى المحلة الكبرى حيث كان يعمل والده في مهنة "عقادة" الحرير ومن هنا عرف بلقب العقاد (٣) أما والده العقاد فقد عرفت بالنشاط والتقوى، وجدّ لأمرها هو محمد آغا شريف ويعزى نسبه إلى رسول الله ﷺ في بعض المراجع بينما يعزى وأحد المراجع إلى العباس عبدالمطلب، وكان العقاد يرسل لها بانتظام ثلث راتبة من الكتابة الصحفية. وعاشت حتى عام ١٩٢٩م حيث ماتت والعقاد في الستين من عمره. (٤)

التحق عباس العقاد بإحدى المدارس الابتدائية وتعلّم فيها اللغة العربية والحساب ومشاهد الطبيعية وأجاد إملائته. وحصل على شهادتها في سنة ١٩٠٣م (٥)

كان عباس محمود العقاد نابغة من نوابغ عصره في علوم اللغة وإماما من أئمة الأدب في العالم العربي، كان شاعرا مجددا يجمع بين قوة العاطفة وعمق الفكرة، قد ظهر في الميدان الأدبي والفكري والسياسي في مصر في أوائل العشرين واشترك في مختلف الحركات الوطنية والفكرية وفي كل مجال وميدان. و ألف الكتب الكثيرة والمقال الصحفية. كما تجاوزت مؤلفات العقاد الإسلامية أربعين كتاباً شملت جوانب مختلفه من الثقافة الإسلامية؛ فتناول كثير منها باسم العبقريات الإسلامية. استحللها بعبقرية محمد ﷺ الذي صدر سنة ١٩٢٢م. ثم توالى باقي السلسلة التي ضمت عبقرية الصديق صدر سنة ١٩٥١م. و عبقرية عمر بن الخطاب صدر سنة ١٩٢٢م. ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه صدر سنة ١٩٥٣م و عبقرية علي رضي الله عنه صدر سنة ١٩٢٩م و عبقرية خالد صدر سنة ١٩٢٥م وغيرهم

وهو ذو طرح عال لغة و اسلوبا وانه لا يكتب ترجمة ولا تاريخا ولا حوادث ولا يعني

بالوقائع من حيث هي وقائع ولا بالاخبار من حيث هي اخبار. فعبقرياته ليست سيرا بالمعنى التاريخي المألوف وانما هي صور اخلاقية قلما يحتفل فيها بالاحداث والوقائع. بل التركيز على جانب واحد من جوانب التاريخ خدمة لاهداف مباشر فهو سلاح ذو حدين اذ انه للقارى كبير او صغيرا انماط غير انسانية لا تتحرك الا في عالم آخر غير عالمنا هذا (٦)

ومن ناحية الادب العربي نرى استخدم العقاد ألفاظا غنية بما تحمل من دلالات مستخدمة في مواقعها استخداماً دقيقاً وأن العبارة مقسمة إلى جمل قصار متوازنة لها وقعها الموسيقي . كما يقول في عبقرية محمد :

” تلك فاطمة بقية الباقيات من الأبناء والبنات يختصها النبي بمناجاته في غشبية وفاته إنى مفارق الدنيا فتبكي إنك لاحقة به فتضحك في هذا الضحك وفي ذلك البكاء على برزخ الفراق بين الدنيا والآخرة أخلص الود والحنان بين الآباء والأبناء “ (٤)

وأن العبارة تشتمل على لون من الصنعة محكم غير مستكره ولا ثقيل ومن اوضح مظاهر السج الذي يشيع في بعض الفقرات ولكنه غير ملتزم ومنها .

”عظمة العظمت في باب الصدقات ، من الأبناء والبنات ، بمناجاته في غشبيه وفاته ، بين الآباء والأبناء ، الود ، الحنان ، ومنه فتبكي وفتضحك وغيره“

ونرى أن منهج العقاد في عرض الوقائع كان مبينا للمنهج السردى الذى دأب على تقديم قصة الحياة من أول نقطة إلى آخر نقطة في تاريخ الشخصية وقد استعان العقاد بعلميته الواسعة الأرجاء في تراجمه ولكنه قد تغلب عليه علميته حينما يتخذ من اسم الشخصية منطلقاً لتعمق مسألة من المسائل أو قضية من القضايا التى تشغل الناس من العلماء قديماً أو حديثاً .

كما في عبقرية محمد ﷺ استعرض العقاد أسباب تعدد زوجات الرسول ﷺ ويقول بعد رد شبهات الأوربا .

” تتكشف لنا مراجعة الحياة الزوجية لمحمد عليه السلام عن هذه الأسباب وشبهاتها من دواعى اختياره لنسائه واستجماعه لهذا العدد من الزوجات فى حين واحد “ (٨) وبعده يقول العقاد :

” أن المشهرين المتقولين نسوا كل حقيقة من حقائق هذه الحياة الزوجية التى سجلت لنا بأدق تفصيلاتها ولم يذكروا إلا شيئاً واحداً حرفوه عن معناه ودلالته ليفتروا على النبى ما طاب لهم أن يفتروه وذلك أنه جمع فى وقت واحد بين تسع زوجات “ (٩)

ثم استعرض العقاد صورة عفة الرسول ﷺ بطريقة مقال ويقول :

” نسوا أنه اتسم بالطهر والعفة فى شبابه فلم يستبح قط لنفسه ما كان شباب الجاهلية

ويستبيحونه لأنفسهم من اللهو المطروق لكل طارق في غير مشقة عندهم ولا معابة“ (١٠)

”ونسوا أنه بقى إلى نحو الخامسة والعشرين لم يتعسف في طلب الزواج الحلال وهو ميسر له تيسره لكل فتى وسيم حسيب منظور إليه بين الأسر وبين الفتيات“ (١١)

ونسوا أنه اختار أحسابا في حاجة إلى التآلف والرعاية ولم يختار جمالا مطلوبوا للمتاع ونسوا أن الرجل الذي وصفوه بما وصفوا من تغليب لذات الحس لم يكن يشبع في بعض أيامه من خبز الشعير ولم يجاوز حياة القناعة قط لإرضاء نسائه وإرضا نفسه ولو شاء لما كلفه إرضاء نفسه وارضأؤهن غير القليل بالقياس إلى ما في يديه وثم يستل ويعجب ويقول انهم نسوا كل هذا وهو ثابت في التاريخ ثبوت عدد النساء الآتى جمع بينهن عليه السلام فلماذا نسوا؟ نسوا لأنهم أرادوا أن يعيبوا وأن يتقولوا وأن ينحرفوا عن الحقيقة وقد كانت رؤية الحقيقية أيسر لهم من الإغضاء عنها لو أنهم أرادوها وتعمدوا ذكرها ولم يتعمدوا نسيانها (١٢)

هذا هو فن عرض الوقائع الذي يهدف فيه إلى إثارة القارى وإمتاعه وهى صورة حية نابضة بالحركة الحسيّة والحركة النفسية تتم على براعة العقاد فى التصوير ورصد الجزئيات والتفصيلات العابرة التى تعكس دلالات نفسية لها قيمتها فى ميزان التصوير .

وهكذا من سمات هذه الطريقة المميزة استخدام التذييلات الضابطة والاحتراسات المحققة ومن سماتها ايضا الميل إلى التفصيلات المنطقية والمقابلات العقلية وأن الخطاب العلمى المتصدر بلهجة أدبية ونقدية وتحليلية .

وفى واقعة يوم الغار يقول العقاد :

”ستطلع الاقمار بعد الأعمار ، وتقبل السنة القمرية بعد السنة القمرية وكأنها تقبل بمعلم من معالم السماء ويؤمى إلى بقعة من الأرض هى غار الهجرة أو يومى إلى يوم محمد هو أجمل أيام محمد لأنه أدل الأيام على رسالته وأخلصها لعقيدته ورجاء سريرته وهو يوم التقويم الذى اختاره المسلمون بإلهام لا يعلوه تفكير ولا تعليم“ . (١٣)

ولا شك ألبسه العقاد لباسا أدبيا جيدا من عرض الوقائع هنا ينطلق من انطباع مباشر يحتكم إلى حس مرهف وذوق وهذه العفوية الأدبية التى تستمد من الشعور وعمق الإحساس . كما يظهر أن المعانى كالروح فى الكلام والألفاظ كالجسد ولا تكون الكلام بليغا مؤثرا حتى

تحتوى على المعانى القيمة والمفاهيم الغالية والأفكار المنطقية كما نلاحظ في هذه الفترات و يقول العقاد في عبقرية محمد :

” وسيطلع في الأفق هلال ويغيب هلال و سيذهب في الليل قمر ويعود قمر وتتعاقب هذه الشهور التي كأنها جعلت لتاريخ ما بين الصدور لأن الناس لا يؤرخون بها مواسم الزرع ولا مواعيد الأشغال ولا أدوار الدواوين والحكومات ولا ينتظرونها إلا هداية مع الظلام وسكينة مع الليل.“ (١٤)

” وهكذا تجلت عبقرية محمد في سياسة الأمور كما تجلت في قيادة الجيوش ، فكان على أحسن نجاح في سياسته إذ نادى بعزيمة الحج وهو لم يفتح مكة بعدده وعدته و إذ دعا المسلمين وغير المسلمين إلى مصاحبته في رحلته و إذ توخى ما توخى من طريقة المسالمة وإقامة الحججة في انفاذ عزمته ، و إذ قبل العهد الذى كبر قبوله على أقرب المقربين من عترته و إذ نظر إلى عقباه و وصل به إلى القصد الذى توخاه.“ (١٥)

نجد في هذه العبارة المعانى الغالية والمفاهيم القيمة والمطالب القوية يستمد منها القراء ويستفيد منها الأدباء والكتاب . وكما نجد أن العقاد يجند في براعة علوم العصر ومعارفه المختلفة لخدمة منهجه ، وتفوق في استخدام القواعد الاجتماعية والنفسية والقانونية والمعارف العسكرية والأدلة العقلية والمنطقية في عرض مختلف القضايا والجوانب وربط الأسباب بالمسببات واستخلاص الأحكام والخلوص إلى النتائج الحاسمة التى تعينه على تشخيص الصورة .

وهكذا نعرف بدراسة العبقريات أن أسلوب العقاد بصفة عامة يتسم غالبا بالتشبع والتركيز الشديد الذى يحتاج إلى وقفات طويلة ولكن الطابع الغالب على أسلوب العقاد فى العبقريات خصوصا فى هذه العبقريات هو الطابع الأدبى الوجدانى بما فيه من خيال رائع و تصوير آسر وتعبير متدفق .

وأن العبارة فى جملتها مركزة لا تزيد فيها ولا فضول كما نجد فى كلامه عن أبى بكر الصديق ” ولا ريب أن يقين الصديق بنصرة الدين كله فى يوم من الأيام قد كان أقوى يقين سكن فى قلب إنسان أو سكن إليه قلب إنسان .

فكل وعد من وعود القرآن قد كان عنده حقيقة عيان بل امكن من حقيقة العيان و كل كلمة سمعها من النبى يخبر من أخبار الغد المجهول فهى عنده شاهد من شواهد الحاضر الملموس باليدين“

اورد الكاتب احيانا العبارة المقسمة إلى جمل قصار متوازنة لها وقعها الموسيقي نحوه في قوله :

” وهذه حقيقة لولم يؤيد لسان المقال لأيدها ما يسمونه بلسان الحال فإن أبا بكر كان ألزم

الناس للنبي وأعرفهم بسرهم وجهرهم“ (١٤)

” وهذه هي الأم التي يشرف بها الأبناء والآباء وتشرفها سلاله آدم وحواء هذه أسماء بنت ابي

بكر“

يظهر الانسجام بين الصيغ والمعاني كالظاهرة الدلالية في عبقریات العقاد لأن معانيها منسجمة بالألفاظ

من ناحية الدلالة كما نجد وراء المعاني إحساس الشعور الإيجابي والسلبي مع قوة الوجدان وسعة

الذوق السليم ، نحوه كما كتب المؤلف في عبقرية محمد :

” ستطلع الأعمار بعد الأعمار ، وتقبل السنة القمرية بعد السنة القمرية و كانها تقبل بمعلم من

معالم السماء يؤمى إلى بقعة من الأرض هي غار الهجرة“ (١٨)

كما كتب ايضا في عبقرية الصديق :

” وكلاهما لا يطيقه الرجل المؤمن الوقور وتغلبه فيه الحدة إن هو غلبها في غير ذلك من

الأمر ولقد عاش أبو بكر ما عاش اليفا مؤلفا لقومه ، محبا محبوبا فيمن حوله ، رحيفا بالغرباء فضلا عن

الأقربين وفضلا عن الأبناء“ (١٩)

لا يمكن لأية لغة من لغات العالم أن تقتصر على معرفة الألفاظ والحروف دون التراكيب ذات

المعنى الدلالي على كل حرف أو كلمة أو جملة في العبارة أو الكلام عموماً ، والكلمات تتكون من

الحروف والتراكيب تتكون من الكلمات ولذا يشكل التراكيب مرحلة مهمة من مراحل بناء النص

الأدبي وصياغة جملة والربط بين فقراته ، والتراكيب النحوية من الوجهة البلاغية كثيرون كما عدا

دكتور عبدالفتاح لاشين في كتابه ” التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبدالقاهر (٢٠) ولا

نبحث عن جميع التراكيب البلاغية والنحوية بل نبحث عن التراكيب المعروفة التي استخدم الكاتب

في عبقرياته ونأتى للتعرف النماذج من كتبه ، مثلاً ، يقول الكاتب في عبقرية الصديق :

” فكل وعد من وعود القرآن قد كان عنده حقيقه عيان ، بل أمكن من حقيقة العيان وكل

كلمة سمعها النبي يخبر من أخبار المجهول فهي عنده شاهد من شواهد الحاضر الملموس باليدين“

(٢١)

واستخدم الكاتب التراكيب الساذجة المأنوسة كفنان كبير واديب فصيح حيث تعطى المعانى الجيدة والمفاهيم العميقة والنادرة كما ترى في هذا النص مثلا من التراكيب الإضافية وغيرها

☆ فكل وعد من وعود القرآن

☆ حقيقة عيان ، من حقيقة العيان

☆ من أخبار الغد ، من شواهد الحاضر

يجرى العقاد على قواعد اللغة العربية لا ضعف فيها لا يتقدم لفظ في غير مكانه ولا يؤخر لفظ إلى غير محله بل تكون التراكيب جسما تقضيه أساليب العرب وقواعدهم كما كانت التراكيب والالفاظ قوية متينة من حيث القواعد فإنها مليئة بالفصاحة .

هكذا نرى التراكيب المحكمة في قوله :

” هذه كلمة السيد يمامته ، السيد بنسبه ، السيد بسلطانه ، السيد بالتفاف القلوب حوله ، السيد بسيادته على سره وعلانيته ورأيه وهواه ، ولو علمت هذه السيادة لبطل الاستبعاد وأصبح تفاوت الدرجات كتفاوت الأعمار شيئا لا غضاضة فيه على صغير ولا خنزوانة فيه لكبير ، إنما هو تقسيم أعمال ، وتعاون بين اخوان وإن لم يكن تعاوننا بين أمثال (٢٢)

لا شك أن العقاد من عمالقة الأدب الحديث كما نرى مظهره في استخدام التراكيب ، نحو قوله :

” لكن القلب الذى لا يعرف قيمة المال لا فضل له فى الكرم ، والقلب الذى لا يخاف لا فضل له فى الشجاعة ، القلب الذى لا يحزن لا فضل له فى الصبر ، إنما الفضل فى الحزن والغلبة عليه ، وفى الخوف والسمو عليه ، وفى معرفة المال والإيثار عليه “ (٢٣)

نجد فيه الاستدراك ، هو رفع توهم يتولد من الكلام السابق رفعا شبيها بالاستثناء وهو ” لكن “ ثم نجد فيه حصر الذى بين الكاتب بكلمة ” إنما “

يوجد فى النصوص قوة الأسلوب التى تحظى بمتعة جديدة وصوره قوية وقوة التركيب وقوة التعبير هى الدالة على المعانى والكلمات المهمة ، وأيضاً أسلوبه غير مستكره ولا ثقيل ، وهكذا نقل الكاتب فى مفتاح شخصية عمر رضى الله تعالى عنه يقول :

” كل هذه الخصائص عمرية لا شك فيها ، فهو الشجاع الحازم الصريح الخشن المطيع ،

الغيور على اشرف ، السريع النجدة المحب للنظام ، المؤمن بالواجب والحق ، الموكل بالإنجاز ، العارف بالتبعات والمسؤوليات ، هي الخصائص واضحة كلها في عمر ، عمر حده واضح بين أمثاله في جميع هذه الخصائص حتى ليخيل إلينا أن أحدا مولعا بتأليف الألبان سأل عن عظيم في الإسلام والعروبة متصف بجميع هذه الخصائص على أصدق وأبرز حالاتها وكان الجواب الواحد عن سؤاله اسم عمر بن الخطاب “ (٢٤)

نلاحظ في أسلوب العقاد دقة ووضوح أن أسلوب الكاتب نقي مصفى ولا تريد في عباراته ولا فضول فيها ، يورده الالفاظ السهلة والمتأنقة ونرى في النص من الصور الجزئية التي تساعد على توضيح المعاني وتجسيدها دلالة قوى كما نجد في بيان صفات الامام عليؑ ،

” هذه صفات تنتظم في نسق موصول : رجل شجاع لأنه قوى ، وصادق لأنه شجاع ، وزاهد مستقيم لأنه صادق ، ومثار للخلاف لأن الصدق لا يدور بصاحبه مع الرضا والسخط والقبول والنفور وأصدق الشهادات لهذا الرجل الصادق أن الناس قد أثبتوا له في حياته أجمل صفاته المثلى ، فلم يختلفوا على شئ منها إلا الذى اصطدم بالمطامع وتفرقت حوله الشبهات ، وما من رجل تنعسف المطامع أسباب الطعن فيه ثم تنفذ منه إلى صميم “ (٢٥)

والغالب على ذلك الأسلوب الإبانة والإفصاح ونجد فيه الميل إلى المنطق والعقل ، فلا إفراط فيه ولا لجوء التكرار سواء بالكلمة أو الجملة ، وتصوير ذلك بمنطق سديد وبصيرة نافذة وأسلوب قوى ، والواقع عند ما ندرس أدب العقاد و شخصيته ، نجد هو ذو شخصية علمية متعدد الجوانب لتنوع موضوعاته وعمق دراساته فهو عملاق من عمالقة الأدب والفكر والبحث والدراسة والتأمل ، يبرز في أسلوبه الطابع الفلسفى والفكر العبقري وقد حلل بطولة الصديقؑ فقال :

” وهو إعجابه بالبطولة التي تستحق الإعجاب ، لأن الإعجاب طبقات تتفاوت ، كما أن البطولة نفسها طبقات تتفاوت وقد كان هو من طبقات هذا الإعجاب في أرفع مكان “ (٢٦)

لا حظنا في النصوص أن الكاتب قدم تصويرا آسرا ما يتمتع به القارئ والدارس وقدم تعبيرا متدفقا الذى يساعد على الإيضاح وقوة التأثير ونجد الخلوص إلى النتائج الحاسمة التي تعينه على تشخيص الصورة .

نجد في هذه النصوص عواطف الكاتب ومشاعره يسوقها بموازن دقيقة مع حرص على الإلقاء بحيث

يزيد من قوة التأثير كما نجد في اللفظ والعبارة صباحة وبعدا عن النزوين مع عناية بالفكرة قبل اللفظ . و نرى ان اسلوب العقاد في عبقرتاته بصفة عامه يتسم غالبا بالتشبيح والتركييز الشديد الذي يحتاج الى وقفات طويلة و نجد ان الالفاظ منسجمة من ناحية الدلالة كما نجد وراء المعاني احساس الشعور ، وكانت الفاظه وتراكيبه قوية متينة من حيث القواعد فانها مليئة بالفصاحة و يستخدم العقاد الالفاظ السهلة و المتناقة و الكلمات المهمة و التراكيب المعروفة .

كان الكاتب ثاقب النظر ، عميق الفكر ، واسع الإطلاع ذو ثقافتين ومن ميزاته ، أنه لا يطيل الكلام في موضوع من الموضوعات و نجد في عباراته والفاظه القصد والتركييز والهدف من الاهداف الذي قصد به الكاتب ، والأفكار التي تمتع الطالب في مطالعته ومثال ذلك قوله في صفته إسلامه :

” الصدق والأمانة وصللة الرحم وحسن الفعال صفات يفهمها أبو بكر لأنها يحبها ويتصف بها ويجب أهلها ، فهو صادق أمين رحيم حسن الفعال ، وتلك اقرب الآيات إلى لبه وقلبه وهي أولى الآيات بالتصديق عند الصادقين المصدقين “ (٢٤)

هذه الصفة له لإداء المعنى المطلوب نجد في اعماله من العبقريات خاصة ، كما قوله :

” لقد كان على فتى يستقبل الدنيا ، كان أبو بكر كهلا يدبر عنها ، يوم أعانا محمدا في يوم ثور ولكنهما كان معا على أبواب غد واحد ورجاء واحد ، يستوى فيه الفتى ، والكهل والشيخ الدالف إلى قبره لأنه رجاء الإيمان لاء رجاء العيان “ (٢٨)

وهكذا نرى أن بعض الصفحات من عبقرياته أبرع خيالا وأجمل تصوير وأصدق تعبيراً عن المعاني الجيدة ، كما كتب المؤلف في عبقرية عمر[ؓ] :

” اسلم الجاهلي الشريف كما كان ينبغي أن يسلم وكما كان يقينا سيسلم في مناسبة من المناسبات ، فإذا العالم الإنساني قد تفتحت فيه صفحة جديدة ، صفحة يقرأ فيها القارى قبل كل شى ، ماذا يصنع الإسلام في النفوس ، ويعلم منها قبل كل علم أن هذا الدين كان قدرة بانية منشئة من لدن المقادير التي تسيطر على هذا الوجود ، كان قدرة تلبس الضعيف فيقوى وتلبس القوى فتسمى قوته ، تجرى به في وجهته وكان يدا خالقة حاذقة تاخذ الحجازة المبعثرة في التيه ، فإذا هي صرح له أساس وأركان وفيه ماوى للضماير والأذهان “ (٢٩)

” جاهلى كسبه الإسلام فكسبه العالم الإنساني كله إلى آخر الزمان ونفس ضائعة ردت إلى

صاحبها ، فعرف بها ما كان ينكر واطلع منها على ما كان يجهل ، ونفع بها أمته وسما لا تحصى ، وضع بها الإسلام أعظم وأفخم ما تصنعه قدرة بناء وإنشاء نظرت حيثما كانت قدرة بناء وإنشاء الأمم فرأت كيف تعلو النفس الإنسانية حتى يحار فيها الإنسان وهو ريشة في مهب النوازع والأشجان“ (٣٠) كان الكاتب يميل إلى اختيار المعاني المفيدة في جمل رائعة جميلة التي تجذب السماع ونرى بين الالفاظ والمعاني التلاءم والتوافق ، كما كتب في عبقرية الامام علي ٥ :

” وكان مع على جمهرة القراء والحفاظ وأصحاب النسك الفقه والشريعة وهم خلق كثير

يعدون بالألوف ويتفرقون في الحواضر والبوادي ولا يزالون كأنباء بنى إسرائيل منذرين متوعدين ساخطين على ترف المترفين منكبين لكل خلال ولو يسير في إقامة أحكام الدين ، لا يرضون عن الدنيا ولا عمن رضى بها من طالباها“ (٣١)

وفي جميع النصوص من النماذج قدمناه ، نرى أن الكاتب يأتي المعاني القيمة ولا تزيد ولا فضول فيها فالكاتب لا يترك فكرة من افكاره دون توضيح وتشريح ومعه يقيم عليه التراكيب السهلة المتقاربة . فأجاد الكاتب فيه وأفاد وأحسن ما علله في سبقة أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، في الخلافة الإسلامية بعد النبي الكريم ﷺ ، كما يقارن بين أبي بكر الصديق وعمر الفاروق رضى الله تعالى عنهما ، ويقول :

” بين هذين الرجلين العظيمين تقابل كثير الشعب متعدد الأنحاء ، تقابل ينتهى إلى التجاذب والإخاء ولا ينتهى إلى التدافع والنفار ، لإنهما كانا يحومان معا في نطاق كوكب واحد ، أو نظام كوكبي واحد كما تحوم السيارات والأقمار حول شمس واحدة هي لها جميعا مركز أصيل لا تنفصل عنه“ (٣٢)

قد علل الكاتب جيدا ومعه شبه اصحاب الرسول ﷺ بالأقمار وشبه رسول الله ﷺ بالشمس ، وفي النص عدد من الصور الجزئية التي تساعد على توضيح المعاني وتجسيدها ، وهكذا يعلل الكاتب في مسألة عزل عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، يرد الشبهات والتوهّمات ويقول :

” نعم كان عليه ذلك لو عجز عن سنة المساواة واحتاج إلى الحيلة ، فإنما يعاب على الوالى

عدل الموازين ويحمد منه التصرف و الدوران لأن المساواة تعيبه ، أو لأن المساواة تعرضه لعاقبة شر وأظلم من الإجحاف ، فاذا نظر إلى عاقبة المساواة في المعاملة فرآها شرو وأظلم من عاقبة التفرقة والتمييز فقد وجب عليه إذا أن يدور حول الحقيقة وألا يوجهها نصا بغير إنحراف .

ولكن اين هذا من عمر وأين عمر من هذا ؟ إنه كان قويا قادرا على العواقب ، وكان شديد الألم من ظلم الظالم شديد الخجل من خذلان المظلوم وكان وثيق الإيمان بنصر الله في الحق وفي النجدة ، فلماذا ينحرف ؟ لماذا ينصرف ولماذا يدور ؟

للمسترقين المتحدثين بالتفكير المحدود ، أن ياخذوا عليه تشهيره بكبار الولاية ويشتبوا به كل ما قالوه عن ذلك التفكير المحدود الذى ينسى الفوارق ولا يحتال على المخطورات “ (٣٣)

أن العقاد يعد نموذجا نادرا للعصامية العلمية فى العصر الحديث ، فهو لم يحصل فى حياته إلا على الشهادة الابتدائية ولكنه استطاع أن يقرأ بنهم شديد ، ويحصل بالثقيف الذاتى ما لم يحصله أصحاب أرقى الشهادات وأعلاها ، فلا عجب أن يغزى عطاؤه وأن يتعدد إنتاجه ويتنوع بسبب وفرة اطلاعه وثقافته يهتم اهتماما خاصا ، فيضرب بقلمه فى شتى المجالات والموضوعات .

أما فى هذه العبقريات لا يعطينا الكاتب سيرة الرجل العظيم ، إنما يعطينا صورته الإنسانية بكل ملامحها وسماتها وهو يصدر عبقرياته دائما بقوله إنها ليست تاريخا لمن يطلبون التراجم التاريخ ، نرى فى عبقرياته منطق سديد الذى يأتى الكاتب خلال كلامه وهو أبرع فيه يلقي الكاتب ضواء كاشفا من حيث المنهج النفسى فى عبقرياته مثلا كما يقول الكاتب فى عبقرية الصديق تحت عنوان ” نموذجان “ و يفرق بين ابى بكر الصديق و عمر الخطاب بدلائله العقلية والمنطقية:

” و لعلنا نوضح هذه الحقيقة بالمثل المحسوس لانه اقرب الى المشاهدة والامتناع فالمصا بيح الكهربائية منها ما هو ام مستقل بمفتاحه،منها ما هو تابع موصول بمفتاح غير ، ويتفق مع هذا ان المصباح الام اصغر حجما و اضعف نورا من المصباح الذى يتبع غيره و يضى بمفتاحه، و هما اقرب مثل محسوس للاجتهد والافتداء . كذلك الكواكب الثابت والسيارات التى تدور حول غيرها، لا يلزم ان يكون كل كوكب ثابت اصغر من كل سيار دائر و ان تكرر هذا فى العيان وسبق الى الاذهان . و على هذا النحو كان الفرق بين الصديق و الفاروق، بين اول المقتدين و ثانى المجتهدين ، فهو فرق بين

قوة من نوع و قوة آخر و لا محل للضعف فى الموازنة بين هاتين القوتين (٣٤)
 كما نعرف أن القياس يستعمل فى اكثر العلوم حتى فى علوم التجريبية فقيمة القياس تساوى
 قيمة جميع العلوم ومع افكاره انكاره سوف تهتز قواعد كافة العلوم البشرية ، خصوصا الفلسفة حيث
 اعتمادها على القياس أكثر من سائر العلوم وأما المنطق فلا يكون له حينئذ قيمة اصلا وذلك لانه يعتمد
 على القياس فى اثبات مفرداته هو تطبيق القاعدة الكلية على جزئياتها لمعرفة حكم الجزئيات (٣٥)
 يعنى هو نوع من الأعمال الذهنية وأسلوب من أساليب الفكر الذى من خلاله يمكننا تبديل
 مجهول إلى معلوم.

مثال القياس المنطقى :

☆ كل مسلم يعتقد بالقرآن والسنة

☆ وكل من يعتقد بالقرآن والسنة يعتقد بختم النبوة

☆ فثبت كل مسلم يعتقد بختم النبوة

نجد مثاله فى العبقریات كما يقول :

” فإن باب المشاورة مفتوح لكل إنسان وليس كل إنسان مع ذلك بالذى يريد أن يستشير ،
 أو بالذى يعرف كيف يستشير إذا أراد ، أو بالذى يحسن الموازنة بين الآراء ، ان عرف من يستشيرهم
 ومن يقبل مشورتهم فى حالة ويرفضها فى حالة أخرى “ (٣٦)

فأجاد الكاتب جيدا وياتى فيه التذييلات المنطقيه والدلائل العقلية وهو ابرز فيه و نجد
 الافكار الفلسفية التركيز الى هدف من الاهداف و فان العقاد لا يترك فكرة دون تو ضيح و تشريح
 لكى تمتع القارئ .

نجد أن الالفاظ والكلمات ينسجم مع فكره وتزينت كل كلمة بأجمل الثياب وأزكى العطور
 وأوفر الدلائل طالبة القرب من العقاد ، فأى شرف للكلمة بعدور ودها بجانبه فعند ما يرتجف القلم
 وتستحى قطراته على التعبير فاعلم انها ستكتب عن العقاد لانه عملاق من عمالقة الأدب العربى .
 ولا ريب أن عباس محمود العقاد عملاق من عمالقة الأدب العربى وهو من تلك الشخصيات
 التى تركت آثاراً أدبية عميقة فى الأدب العربى وهو ذو ثقافة ، سعى إلى تخليص الأدب العربى من
 التكلف والتصنع ، ولهذا يبقى الإنسان الرزين المفكر الذى خاض معارك فكرية عنيقة وأدبية مع

عمالقة الأدب العربي كالرافعي وطه حسين وأحمد شوقي وغيرهم .

إن العقاد يعتمد في العبقريات على كلمات عابرة أو أحداث صغيرة لا تشغل من حياة الشخصية إلا حيز ضيقا وهو يستنتج منها ملامح قيمة وسمات بارزة ودلالات كبيرة متوهجة في صورة الشخصية . وما أثرهم الخالدة التي كان لها أعظم الأثر في بيئتهم وجيلهم ، ما تلاه من أجيال ، كل ذلك بأسلوب شامل للأسلوب الأدبي من إيجازه وجماله غير المخمل ، وفي حرارة اندفاعه في التوضيح والتبيين بما يأسر القلوب فتستريح له القلوب المنعطشة لمعرفة الحقائق الخالصة من كل شائبة .

الهوامش

١. انظر: خفاجي محمد عبد المنعم الدكتور، دراسات في الأدب الحديث، ص ٣٣، نشر مكتبة الأزهر للتيارات والمذاهب الكبرى
٢. انظر: دياب عبد الحي دكتور، العقاد ناقدا، ص ١٠ دار الشعب القاهرة
٣. انظر: خفاجي محمد عبد المنعم الدكتور، دراسات في الأدب الحديث، ص ٣٣، نشر مكتبة الأزهر
٤. انظر: المرجع السابق ٣٣
٥. انظر: نعمات احمد فواد الدكتور، حياة عباس محمود العقاد، مقال منشور في الشبكة الدولية الانترنت
٦. انظر: المجلة، الهلال، العدد الرابع. مقال احمد عبد الرحيم المصطفى الدكتور، عدد خاص، السنة الخامسة و السبعون
٧. العقاد عباس محمود، عبقرية محمد من مجموعة الاسلاميات، ص ١٢١ ط الثانية سنة ١٩٨٥ م دار المعارف
٨. المصدر السابق، ص ١٠٥
٩. المصدر السابق، ص ١٠٦
١٠. المصدر السابق، ص ١٠٦
١١. انظر: ابن منظور محمد بن مكرم جمال الدين لسان العرب كلمة لم تعسف معناه لم تعدل ولم تحاد
١٢. العقاد عباس محمود، عبقرية محمد من مجموعة الاسلاميات ص ١٠٦
١٣. المصدر السابق ص ١٢٤
١٤. المصدر السابق، ص ٦٠
١٥. المصدر السابق، ص ٤٢
١٦. العقاد عباس محمود العقاد، عبقرية الصديق من مجموعة الاسلاميات ص ١٥٣. ط الثانية سنة ١٩٨٥ م دار المعارف
١٧. المصدر السابق ص ١١٦
١٨. العقاد عباس محمود، عبقرية محمد من مجموعة الاسلاميات، ص ١٢٤
١٩. العقاد، عباس محمود عبقرية الصديق، ص ٣٥
٢٠. عبدالفتاح لاشين دكتور، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبدالقاهر، طبع القاهرة
٢١. العقاد، عباس محمود عبقرية الصديق^ط ص ١٠٢
٢٢. العقاد عباس محمود، عبقرية محمد ص ١٢٤
٢٣. المصدر السابق ص ١١٨
٢٤. العقاد، عباس محمود عبقرية عمر^ط ص ٥٥. ط الثانية سنة ١٩٨٥ م دار المعارف
٢٥. العقاد، عباس محمود عبقرية الامام علي^ط ص ١٨ ط الثانية سنة ١٩٨٥ م دار المعارف
٢٦. العقاد، عباس محمود عبقرية الصديق^ط ص ٣٣
٢٧. المصدر السابق ص ٤٣
٢٨. العقاد، عباس محمود عبقرية الصديق ص ١٢
٢٩. المصدر السابق ص ٤٨

٣٠. المصدر السابق ص ٤٨
٣١. العقاد، عباس محمود عبقرية الإمام علي ص ٣٥
٣٢. المصدر السابق ص ٥٢
٣٣. انظر : العقاد، عباس محمود عبقرية عمر ص ٢٢
٣٤. العقاد، عباس محمود عبقرية الصديق ص ٥٦. ٥٤
- (٣٥) التفتازاني، سعد الدين، شرح تهذيب، ص ٢١، طبع ملتان، باكستان
- (٣٦) العقاد، عباس محمود، عبقرية عمر[ؓ]، ص ٩٢